Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

الإسلام والايمان والكفر من منظور قراني -دراسة تحليلية

العدد التاسع – حزيران – June / 2024

حيدر خزعل فهد عكاب [1]

[1] وزارة التربية / مديرية تربية ذي قار – العراق

p888p0@gmail.com

ملخص. الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين. وبعد: ليس خافياً على أصحاب العقول النيرة والأذهان الوافدة إن ألفاظ القرآن الكريم جاءت منسجمة انسجاماً تاماً بما يقوله المنطق السليم والمنهج القويم، وهذا الإنسجام جعل من المعاني أن تنساق حيث تتماثل الألفاظ في عباراتها دون تشكيك وريب، فالمعنى حيث اللفظ دال عليه. ومن تلك الألفاظ ذات المعاني المتباعدة بنظر قسم من العقول، والمتفقة بنظر القسم الآخر هي ألفاظ الإسلام والإيمان والكفر وما ينطوي تحتهما من تقسيمات تؤدي إلى فهم كل منهما فهماً مستقلاً بعد الإستعانة بالنصوص القرآنية عينها. وهذه الدراسة بمباحثها ومطالبها عرض لمفاهيم الإسلام والكفر والايمان واشتقاقاتهما في القرآن الكريم وما يندرج تحتهما من مصاديق ومعاني تؤدي الفهم المطلوب عرضها الباحث بطريقة مختصرة. فيتكفل هذا البحث بدارسة هذه المصطلحات الثلاثة وسير بعدها الدلالي، والكشف عن المراد القرآني بكل منها لما لها من اهمية في مجال العقدي وكذلك الفقهي. ويقع البحث على ثلاثة فصول، الأول منها يتكفل بمصطلح) الاسلام اذ يعمل على كشف البعد اللغوي له، والبعد الاصطلاحي. ومن ثم يقف على بلورة الرؤية القرآنية لهذا المصطلح من خلال استقصاء الآيات الواردة فيها ذكر لفظة (الاسلام) أو ما يشتق منها مع العناية بالبيئة السياقية التي وردت فيها اما الفصل الثاني، فتكفل بالبحث فيه مدلول (الايمان) لغة واصطلاح، وسياقيا في القرآن الكريم، ثانيا، اذ يقوم بسير دلالات مصطلح (الايمان) على ماورد في الآيات الكريمة ليخلص الى تحديد القيمة المعنوية لهذا المصطلح بحسب السياق القرآني. اما الفصل الثالث فهو كفيل بالبحث في دلالة الكفر، اذ يتتبع معنى الكفر على ما ورد في اللغة والاصطلاح ومن ثم يفرع الى

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

تشخيص دلالته القرآنية من خلال استقصاءه في بيئته القرآنية. وينتهي البحث بإبراز جملة النتائج التي تمخضت عنه، مع ثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في الدراسة.

Abstract. It is no secret to those with bright minds and new minds that the words of the Holy Qur'an are completely consistent with what sound logic and the right approach say, and this harmony makes the meanings flow where the words are similar in their expressions without doubt or suspicion. The meaning is where the word indicates it. Among those words that have divergent meanings in the view of one group of minds, and are in agreement in the view of the other group, are the words Islam, faith, and disbelief, and the divisions that lie beneath them that lead to an independent understanding of each of them after seeking help from the same Qur'anic texts. This study, with its discussions and demands, presents the concepts of Islam, disbelief, and faith, and their derivations in the Holy Qur'an, and the concepts and meanings that fall under them that lead to the desired understanding, which the researcher presented in a brief manner. This research is concerned with studying these three terms and their semantic dimension, and revealing the Qur'anic meaning of each of them because of their importance in the field of doctrine as well as jurisprudence. The research is divided into three chapters, the first of which deals with the term "Islam," as it works to reveal its linguistic dimension and its terminological dimension. Then, it crystallizes the Qur'anic vision for this term by examining the verses in which the word (Islam) or what is derived from it is mentioned, while paying attention to the contextual environment in which it appears. As for the second chapter, it examines the meaning of (faith) linguistically and terminologically, and contextually in the Holy Qur'an. Secondly, it follows the connotations of the term (faith). Based on what was stated in the noble verses, he concluded by determining the moral value of this term according to the Qur'anic context. As for the third chapter, it is sufficient to investigate the meaning of disbelief, as it traces the meaning of disbelief according to what is stated in the language and terminology, and then branches out to diagnosing its Qur'anic meaning through investigating it in its Qur'anic environment. The research ends by highlighting the results that resulted from it, supported by the sources and references relied upon in the study.

1 .الفصل الأول

1.1. المطلب الاول

الإسلام لغة: بمعنى الإستسلام والإنقياد. قال تعالى: (أفغير دين الله يبعون وله أسلم من في السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طوعا وكرها وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (سورة آل عمران الآية: (83) فمعنى أسلم هو الاستسلام والانقياد الله سبحانه وتعالى، ومنه ايضاً قوله سبحانه: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ للمحبين) (سورة الصافات، الآية: (103)، ومعنى أسلما أي استسلما وانقادا الله تعالى. وقوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّموا تسليما) (سورة الأحزاب, الآية: (56) أي يستسلموا ويرضخوا استسلاماً كاملاً وانقياداً لأوامره, فقد جعله أحد الأقوال ولم يستبعده, وليس بمعنى أن يصلوا عليه ويلقوا عليه تحية السلام أو يدعوا الله تعالى أن يصلي عليه, بل إن الصلاة من الله تعالى والملائكة, على النبي بمعنى الصلة والمعونة والمدد من الله والملائكة إلى النبي صلى الله عليه وآله, ثم يأمرنا الله سبحانه وجميع المؤمنين أن توجد تلك الصلة بيننا وبين النبي صلى الله عليه وآله, وتسلم تسليماً, أي تستسلم وترضح تسليماً ورضوحاً والقياداً كاملاً تاماً الأوامره ونواهيه.والملاحظ: إن معنى الإسلام ليس الاستسلام بمعناه المتعارف, بل المقصود التسليم, ولذا يمكن القول أن مرادهم من الاستسلام هو التسليم, والفرق أن الاستسلام إنقياد دون اعتقاد ومعرفة واقتناع قلبي كما في قوله تعالى: (قالت الأعراب آمنا قل لم تُؤْمِنُوا ولكن قولوا أسلمنا) (سورة الحجرات من الآية: (14)

1.2. المطلب الثاني: الإسلام اصطلاحاً:

يطلق الإسلام في الإصطلاح على معنيين المعنى الأول الإسلام دون الإيمان، وهو الإعتراف باللسان وبه تحقن الدماء. سواء أحصل معه الاعتقاد أم لم يحصل, وإياه قصد بقوله تعالى: (قَالَتِ الأعراب أمنا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) (سورة الحجرات من الآية: (14) ومعنى أسلمنا أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام, أي أنه دون الإيمان, ومع وضوح الآية المباركة في أن الإسلام دون الإيمان هنا, إلا أن صاحب كتاب الحاكمية أول النص بقوله إن الآية فهمت فهماً خاطئاً، فالأعراب فعلاً قد ادعوا الايمان ولم يكن الايمان قد دخل في قلوبهم ومع ذلك وهبهم الله مرتبة الاسلام التي هي أرقى من الايمان الذي لم يدخل قلوبهم, والسبب هو أمره – سبحانه – لهم بترك الوطن والأهل والخروج جهاداً في سبيل الله فكانت لهم مرتبة الإسلام, بينما المؤمنون من اليهود أخرجوا من مصر للتوطن في الأرض المقدسة ورغد العيش), وهذا تأويل لا يساعد عليه ظاهر النص، فكلام أهل البيت (عليهم السلام) في المسألة الذي يُستفاد من الروايات الواردة

عن الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) وجود نوع من الاختلاف فيما بين مفهوم الإيمان ومفهوم الإسلام ومفهوم الكفر ; فالإيمان هو: التصديق القلبي الذي ينعقد في قرارة النفس، وهو أعلى رتبة من الإسلام، في حين أنّ الإسلام هو: التشهّد بالشهادتين لساناً والعمل بالشرع ظاهراً..

ففي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في مقام التفريق بين الإيمان والإسلام يقول فيها الإمام (عليه السلام): «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان ; فهذا الإسلام. والإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقرَّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاًّ» (1).

وعن سماعة قال: « قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟فقال: إنّ الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان.فقلت: فصفهما لي.فقال: الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله والتصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس.والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به.والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة »(2).وعن محمّد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام)، قال: « الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل »(3).وفي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في مقام تفسير الآية الرابعة عشر من سورة الحجرات في ما يتعلّق بقبول إسلام أهل البادية لا إيمانهم..عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: « سمعته يقول: (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ) فمَن زعم أنّهم آمنوا فقد كذب ومن زعم أنّهم لم يسلموا فقد كذب »(4).وعن يونس، عن جميل بن درّاج، قال: « سألت أبا عبد الله (عليه السلام)عن قول الله عزّ وجلّ:

(قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ)؟ فقال لي: ألا ترى أنّ الإيمان غير الإسلام؟!» (5).

وعن فضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان» (6).

والإسلام لا يشرك الإيمان والإيمان يشرك الإسلام وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان. وقد قال الله عزّ وجلّ:

(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ) ; فقول الله عزّ وجلّ أصدق القول.قلت: فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك؟فقال: لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحد ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما وما يتقرّبان به إلى الله عزّ وجلّ.قلت: أليس الله عزّ وجلّ يقول: مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)(7) وزعمت أنّهم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ مع المؤمن؟!قال: أليس قد قال الله عزّ وجلّ: (فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)(8)؟! فالمؤمنون هم الّذين يضاعف الله عزّ وجلّ لهم حسناتهم لكلّ حسنة سبعون ضعفاً ; فهذا فضل المؤمن، ويزيده الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه أضعافاً كثيرةً، ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير.قلت: أرأيت من دخل في الإسلام أليس هو داخلاً في الإيمان؟!فقال: لا، ولكنّه قد أُضيف إلى الإيمان وخرج من الكفر وسأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الإيمان على الإسلام: أرأيت لو بصرت رجلاً في المسجد أكنت تشهد أنك رأيته في الكعبة؟قلت: لا يجوز لي ذلك

قال: فلو بصرت رجلاً في الكعبة أكنت شاهداً أنّه قد دخل المسجد الحرام؟

قلت: نعم.قال: وكيف ذلك؟قلت: إنّه لا يصل إلى دخول الكعبة حتّى يدخل المسجد.فقال: قد أصبت وأحسنت.ثمّ قال: كذلك الإيمان والإسلام »(9).

وعن فضيل بن يسار، قال: « سمعت أبا عبد الله عليه السلام) يقول: إنّ الإيمان يشارك الإسلام ولا يشاركه الإسلام، إنّ الإيمان ما وقر في القلوب والإسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدماء والإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان »(10).وعن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: « قيل لأمير المؤمنين (عليه السلام): من شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مؤمناً؟ قال: فأين فرائض الله؟قال: وسمعته يقول: كان علي (عليه السلام) يقول: لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام.قال: وقلت لأبي جعفر (عليه السلام): إنّ عندنا قوماً يقولون: إذا شهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو مؤمن.قال: فلمَ يضربون الحدود، ولمَ تقطع أيديهم؟! وما خلق الله عزّ وجلّ خلقا أكرم على الله عزّ وجلّ من المؤمن، لأنّ الملائكة خدّام المؤمنين، وأنّ جوار الله للمؤمنين وأنّ الجنّة للمؤمنين، وأنّ الحور العين للمؤمنين. ثمّ قال: فما بال من جحد الفرائض كان كافراً؟ »(11) وهذا هو مضمون الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) في هذا الشأن. والإمام الباقر (عليه السلام) يحاول بيان المسألة بصورة أوضح وذلك حينما قال (عليه السلام):« مثل الإيمان من الإسلام مثل

الكعبة الحرام من الحرم، قد يكون الرجل في الحرم ولا يكون في الكعبة، ولا يكون في الكعبة حتّى يكون في الحرم، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً »(12).

وبناءً على ذلك يخرج الإنسان المذنب من حدود دائرة الإيمان بمجرّد ارتكابه للذنب لكنّه يبقى ضمن حدود دائرة الإسلام. وللإمام الصادق (عليه السلام) في هذا الخصوص بحثٌ جاء ضمن رسالته الجوابية على سؤال (عبد الرحيم قصير)، فقد كتب يقول: « الإيمان هو: الإقرار باللسان وعقد في القلب وعملٌ بالأركان، والإيمان بعضه من بعض، وهو دارٌ وكذلك الإسلام دارٌ والكفر دارٌ ; فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يُشارك الإيمان ; فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله عزّ وجلّ عنها كان خارجاً من الإيمان، ساقطاً عنه اسم الإيمان وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عادَ إلى دار الإيمان ولا يخرجه إلى الكفر إلاّ الجحود والاستحلال، أن يقول للحلال: هذا حرام، وللحرام: هذا حلال، ودانَ ذلك فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان داخلاً في الكفر، وكان بمنزلة من دخل الحرم ثمّ دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأُخرج عن الكعبة وعن الحرم فضُربت عُنُقُهُ وصار إلى النار »(13). هذا المقدار من التفاوت بين الإيمان والإسلام لا يتعارض مع ما يعتقد به المرجئة في خصوص مرتكب الكبيرة ; حيث إنّ المرجئة يعتقدون بأنّ مجرّد ارتكاب الكبيرة لا يكون موجباً لإطلاق لفظ الكافر على مرتكبها، بل هو لا يزال مؤمناً أو على الأقل القول بإسلامه.

بناءً على هذا فإنّه لا يوجد تعارض بين ما يقول به المرجئة في خصوص الجزء الأوّل . عدم اعتبار مرتكب الكبيرة كافراً . وبين ما ذكرناه من الفصل بين الإيمان والإسلام.

ان مفهوم المؤمن عند الأئمّة (عليهم السلام) بمعنى المتديّن المعتقد الأصيل وبعبارة أخرى، أنّ الأئمّة (عليهم السلام) بالرغم من قبولهم بإسلام مرتكب الكبيرة إلاّ أنّهم لم يكونوا مستعدّين لإطلاق لفظ المؤمن عليه لأنّ الإيمان هو عبارة عن الاعتقاد القلبي المرتكز في قرارة النفس، ولعلّ إطلاق كلمة المؤمن على مرتكب الكبيرة سوف يؤدّي إلى هتك حرمة الإيمان بمرور الزمن.

هذا وقد جاء في إحدى الروايات أنّ أبا حنيفة وبعضاً من أنصاره من المرجئة أمثال عمر بن قيس الماصر وعمر بن ذرّ ذهبوا عند الإمام الصادق (عليه السلام) واخذوا يسألونه فيما يتعلق بالإيمان، قال الإمام (عليه السلام) نقلاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): « لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن » عندها سأل عمر بن ذرّ: بِمَ نسمّيهم؟ قال عليه السلام: بما سمّاهم الله وبأعمالهم، قال الله عزّ وجلّ عنهم « السارق والزاني »(14)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتماعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بناءً على هذا، يمكن ان نعتبر أنّ رأي الأئمّة (عليهم السلام) يتعارض مع ما يرتئيه المرجئة فيما لو وصل الأمر إلى الحفاظ على حريم الإيمان، لكن وكما مرّ فإنّ الأئمّة (عليهم السلام) كذلك يقولون بإسلام هكذا أشخاص، هذا وإنّ الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) بالرغم من قبولهم بعدم تكفير مرتكب الكبيرة، فإنّ الكفر لا يتحقّق إلاّ بالجحود، إلاّ أنّهم (عليهم السلام) لم يقبلوا النتيجة التي توصّل إليها المرجئة من أنّ الإيمان]أو الإسلام[لا يقبل الزيادة والنقصان وإنّه أمرٌ ثابتٌ. بل إنّ الإيمان في الحقيقة من المفاهيم التي تقبل الزيادة والنقصان، وقد أشار الأئمّة (عليهم السلام) إلى هذا المعنى في العديد من الروايات(15)

حيث أُخذ بنظر الاعتبار المراتب والدرجات المختلفة للإيمان في مثل هذه الروايات.

بالإضافة إلى ذلك فانّ المرجئة توصلوا إلى نتيجة أخرى من قولهم بعدم تكفير مرتكب الكبيرة ألا وهي قولهم: بأنّ العمل ليس جزءً من الإيمان، في حين إنّنا نرى في رواياتنا بالرغم من قبولها بعدم تكفير المسلم أو المؤمن الذي يرتكب المعصية، إلاّ أنها لا تنفي الدور المؤثر للعمل في الإيمان، بل إنّها حاولت وبصور مختلفة ان تربط بين العمل والإيمان، حتّى أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) تصدّى للمواقف الإفراطية للإرجاء حيث قال (عليه السلام): « ملعون ملعون مَن قال: الإيمان قول بلا عمل »(16).

وفي إحدى الروايات التي وردت في الرد على عقيدة المرجئة في هذا الخصوص، يتطرق الإمام (عليه السلام) إلى الإيمان قائلاً: « والإيمان دعوى لا يجوز إلاّ ببيّنة وبيّنتهُ عمله ونيّتهُ فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن »(17).

وبعبارة أخرى، حتّى لو فرضنا أنّنا نقول بأنّ الإيمان هو صرف التصديق القلبي، فإنّه لا معنى أساساً بأن نتصوّر الإيمان منفصلاً عن العمل. وذلك لأنّ هذا التصديق يحتاج إلى العديد من اللوازم والعمل يُعدُّ على رأس هذه اللوازم حيث أنّ الإمام (عليه السلام) يعبّر عن ذلك قائلاً: «.... ولا يثبت الإيمان إلاّ بعمل »(18). وجاء في رواية أخرى: « الإيمان ما استقرّ في القلب وأفضى به إلى الله عزّ وجلّ صدّقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره »(19). وفي تعبير آخر، أنّ الإيمان هو التصديق القلبي وأنّ العمل يدلُّ عليه ومصدّقٌ له: « الإيمان ما خلق في القلب وصدّقه العمل »(20).

ترك الأعمال نراه واضحاً في المجتمع وأحياناً يأتي نتيجةً للإباحية]أي أنّ كلّ الأعمال مباحة ولا تُخرج صاحبها من الإيمان حتّى الكبائر[التي خلّفتها بعض نظريّات المرجئة، في حين نرى على الطرف الآخر تأكيداً على العمل من حيث المجموع في أمّهات الكتب الدينية الأعمّ من القرآن والسنّة، أدّى إلى

العدد التاسع – حزيران – June / 2024

tasnim-lb.org/index.php tasnim.ijhs@gmail.com

ازدياد الأواصر بين الإيمان والعمل إلى الحدّ الذي أصبح فيه الإيمان يشمل العمل كذلك، وقد وردت العديد من الروايات في هذا الخصوص ومن جملتها: « الإيمان قول وعمل إخوان شريكان »(21)، وكذلك الرواية المشهورة: « الإيمان عقدٌ بالقلب، ولفظ باللسان وعمل بالجوارح »(4)، وجميعها يصبُّ في نفس الاتجاه الذي يؤكّد على أهمّية العمل، بالرغم من القول: بأنّ الإيمان هو خصوص (المعرفة) و(الإقرار القلبي)

2 .الفصل الثاني:

2.1. المطلب الأول: الإيمان لغة:

الإيمان في اللغة مصدر أمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن وكلمة الإيمان مشتقة من الأمن الذي هو ضد الخوف, أمن: الأمن: ضد الخوف والفعل منه أمن يأمن أمنا.. والأمان: إعطاء الآمنة والأمانة نقيض الخيانة... والايمان: التصديق نفسه).

أقول: إن لفظ الإيمان الذي يتعدى بالباء من قبيل الإيمان بالله، أو آمن بالله، أو تؤمن بالله فالأقرب إلى معنى الإيمان أن يكون بمعنى الإقرار لأن الإيمان كما قلنا مشتق من الأمن والأمان الذي هو الطمأنينة ولا يمكن أن يكون بمعنى التصديق لأنه ضد التكذيب, بينما الإيمان يضاد الكفر, وعليه فالأقرب إلى الإيمان الذي يتعدى بالباء أن يكون بمعنى الإقرار الذي يصدق عليه الطمأنينة.

2.2. المطلب الثاني: الإيمان اصطلاحاً

وقد عرف الإيمان بعدة تعريفات فقيل: هو التصديق، وقيل: هو الثقة، وقيل: هو الطمأنينة، وقيل: هو الإقرار أو (هو التصديق بالله بأن يصدق بوجوده، وبصفاته، وبرسله بأن يصدق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، ويكتبه بأن يصدق بأنها كلام الله وأن مضمونها حق، وبالبعث من القبور والصراط والميزان، وبالجنة والنار، وبالملائكة بأنهم موجودون وأنهم عباد مكرمون).

وبما أن التصديق يقابل التكذيب, لذا قلنا: إن معنى الإيمان هو الإقرار الذي يكون إقراراً باللسان وعملاً بالأركان. وليس هو التصديق لأن الإيمان غير مرادف للتصديق, والذي يقابل الإيمان إنما هو الكفر, أما التصديق فيقابل التكذيب.إن لفظ الإيمان لم يقابل بالتكذيب بل المعروف أن في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لايختص بالتكذيب.

ولا بدّ هنا من ملاحظة نكتة في المقام ألا وهي أنّ اصطلاح الإيمان قد استعمل في معنيين خاصٍّ وعامٍّ، فمرّة استعمل في خصوص التصديق القلبي حيث يُراد به المعنى الخاصّ هنا، وأُستعمل في موارد

أخرى بمعناه العامّ حيث يُراد به معنى (الدين) و(الإسلام) ومن حيث المجموع يمكن القول: بأنّ الإيمان والعمل من الأهمّية بمقدار في كلام أهل البيت (عليهم السلام) بحيث لا يمكن الفصل بينهما، وأنّ الإيمان من دون العمل يخرج الإنسان من حدود دائرة الإيمان، إلاّ أنّه لا يخرجه إلى الكفر، بل يخرجه إلى دائرة الإسلام.

إلى هنا نرى أن الأئمّة (عليهم السلام) عندما رفضوا التالي(22) الفاسد لنظريّات المرجئة . والتي لا يعتقد بها البعض منهم . استطاعوا الردّ على آراء الخوارج والمعتزلة في تكفير أو عدم اعتبار إسلام بعض المسلمين.

(23) المراد من التالي هو التالي بالإصطلاح المنطقي أي مؤخّر الجملة الشرطية فيكون المراد أنّ المرجئة يقولون: (إذا كان مرتكب الكبيرة ليس كافراً فإنّ العمل منفصل عن الإيمان وانّ...) لأنّ المرجئة يقولون إنّ ارتكاب الكبيرة هو عملٌ وبما أنّه لم يُخرج صاحبه من الإيمان فهذا يدلّ على أن العمل منفصل عن الإيمان. فاللائمة (عليهم السلام)يقبلون بالمقدّم في هذه القضية الشرطية أي يقبلون بكون مرتكب الكبيرة ليس كافراً ولا يقبلون بالتوالي الفاسدة من فصل العمل عن الإيمان وغيرهِ من التوالي، فقبولهم بعدم التكفير يعتبر ردٌّ على الخوارج والمعتزلة في تكفيرهم للبعض. آراء بعض متكلّمي الشيعة في المسألة اشرنا فيما مرّ واستناداً إلى ما بيّنه الأئمّة (عليهم السلام) إلى أنّ ارتكاب المعاصي لا يُدخل الإنسان المسلم في زمرة الكفّار، لكن في نفس الوقت ولأجل تشخيص المراتب المختلفة التي يمكن ان يرتقيها الإنسان المتديّن وموقعيّته ضمن دائرة التديّن، جُعُلَ نوعاً من التمييز بين الإيمان والإسلام والكفر.

لكن وكما قلنا سابقاً أنّ هذا التفاوت بين الإيمان والإسلام والكفر . من وجهة نظر أهل البيت (عليهم السلام) . ليس ناظراً إلى ما قالته المرجئة « من أنّ الإيمان أمر ثابت ولا يمكن تصوّر الزيادة والنقصان فيه » و« من عدم تأثير العمل في الإيمان » حيث أنّنا أنكرنا عليهم ذلك في الوقت الذي لم نقبل بقول مَن كان يقف في قبالهم والذي يعتقد بخروج مرتكب الكبيرة عن حدود دائرة الإسلام كالمعتزلة والخوارج.

وقد تبنى فيما بعد بعض المرجئة نظرية الفصل بين حدود دائرة الإيمان وحدود دائرة الإسلام، حيث تقبّل هذا المعنى ماتُريدي(24) الذي كانت لديه فكرة تفسير كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة، ويمكن القول هنا بأنّ بعض المرجئة قد تقبَّلَ هذه النظرية هرباً من الغوص في مستنقع الإباحية(25)، حيث اخذوا يعتقدون بانّ الإيمان هو عبارة عن الاعتقاد في قرارة النفس والإسلام هو إطاعة الأوامر الإلهية(26).

متكلّمي الشيعة بالإضافة إلى فقهائهم يؤيّدون القول القائل بعدم خروج المسلم من حيّز الإسلام عند ارتكابه الكبيرة، فوجد البعض منهم طريقاً عقلائيّاً لحلّ المسألة وذلك من خلال قولهم بأنّ الإقرار مأخوذ في مفهومي الإسلام والإيمان، وأنّ متعلّق الإسلام والإيمان هو (المعرفة والإقرار) فلا يمكن للعمل – ارتكاب الكبيرة – أن ينفي الإقرار إلا أنْ يكون مؤدّياً للجحود، هذا الرأي لحلّ المسألة تبنّاه أبو اسحق النوبختي في كتابه الياقوت، وقد قبل به العلاّمة كذلك في شرحه لكتاب النوبختي والذي سمّاه أنوار الملكوت، هذا ويجب ملاحظة نكتة مهمّة في المقام ألا وهي أنّ الغرض الأساسي للنوبختي والعلاّمة من تبنّيهما لهذا الرأي هو لنفي رأي الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة، ولنفي رأي المعتزلة في عدم إطلاق لفظ المؤمن ولا المسلم ولا الكافر عليه وإنّما إطلاق لفظ الفاسق عليه(27).

أبو اسحق النوبختي كتب يقول: « والمؤمن إذا فسق يُسمى مؤمناً لأنّ الإيمان هو التصديق، وهو مصدّق »(28) ويظهر من خلال استدلاله هذا، أنّ ذلك يستلزم عدم مدخلية العمل في تعريف الإيمان ولذلك نرى أنّه بعد استدلاله مباشرةً قال: « الطاعات ليست جزءً من الإيمان »(29).

كتب العلاّمة يقول: « إن الفاسق مصدّق بالله تعالى ورسوله وجميع ما يتوقّف عليه الأحكام الشرعية، والتصديق: هو الإيمان، فكان مؤمناً. والذي يدلّ على أن الإيمان هو التصديق، نقل أهل اللغة وقد نقل في الشرع إلى التصديق بالله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما علم مجيئه به، وليس فعل الطاعات جزء من الإيمان »(30).

الشيخ المفيد يقول: « واتفقت الإمامية على أنّ مرتكب الكبائر من أهل (المعرفة والإقرار) لا يخرج بذلك عن الإسلام وأنّه مسلم وإن كان فاسقاً بما فعله من الكبائر والآثام، ووافقهم على هذا القول المرجئة كافّة وأصحاب الحديث قاطبة ونفر من الزيدية، وأجمعت المعتزلة وكثير من الخوارج والزيدية على خلاف ذلك، وزعموا أن مرتكب الكبائر ممن ذكرناه فاسق ليس بمؤمن ولا مسلم »(31).

وكتب في هذا الخصوص يقول: « وأقول إنّ مرتكبي الكبائر من أهل المعرفة والإقرار مؤمنون بإيمانهم بالله وبرسوله وبما جاء من عنده وفاسقون بما معهم من كبائر الآثام، ولا أُطلق لهم اسم الفسق ولا اسم الإيمان بل أقيّدهما جميعاً في تسميتهم بكلّ واحد منهما، وامتنع من الوصف لهم بهما من الإطلاق وأطلق لهم اسم الإسلام بغير تقييد وعلى كلّ حال، وهذا مذهب الإمامية إلاّ بني نوبخت فإنّهم خالفوا فيه وأطلقوا للفسّاق اسم الإيمان »(32).

هذا التمييز بين المؤمن والمسلم بحدّ ذاته نوعاً من أنواع التهرّب من الوقوع في إطلاق لفظ المؤمن من غير تقييده على الفاسق، وإنّما يجب تقييده بالمؤمن الفاسق(33)،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتِمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بناءً على هذا الرأي نرى الشيخ المفيد يتّهم محاربي الإمام علي بالكفر، ولكن كفرهم . من طريق التأويل . كفر ملّة، المُخرج لهم من الإيمان، لا كفر الردّة المُخرج عن الإسلام والشرع ; لإقامتهم على الجملة منه وإظهار الشهادتين، وإن كانوا بكفرهم خارجين عن الإيمان(34).

وفي الوقت نفسه يجب ملاحظة نوع آخر من التمييز بين المسلم والمؤمن في كلام أهل البيت (عليهم السلام) حيث أطلق لفظ المؤمن على خصوص الشيعة، وأُطلق لفظ المسلم على الشيعة وعلى غيرهم، مثل هذه التقسيمات نراها واضحةً في كلام الشيخ المفيد فيما يتعلّق بتعريف دار الإيمان ودار الإسلام، حيث كتب في دار الإيمان ودار الإسلام قائلاً: « كلّ موضع غلب

فيه الإيمان فهو دارُ إيمان وكلّ موضع غلب فيه الإسلام دون الإيمان فهو دارُ إسلام..... إن كلّ صقع من بلاد الإسلام ظهرت فيه شرايع الإسلام دون القول بإمامة آل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّه دارُ إسلام لا دارُ إيمان »(35).

اما أبو حنيفة في الفقه الأكبر يؤكّد على وجود تفاوت ما بين الإيمان والإسلام، لكن ما يرتئيه كان على العكس ممّا جاءت به روايات أهل البيت (عليهم السلام) حيث أنّه اعتبر الإيمان والإسلام عبارة عن اللازم والملزوم، فلا يمكن تصوّر الإيمان من دون الإسلام ولا يمكن تصوّر الإسلام من دون الإيمان. ففي الحقيقة أنّه جعل الفرق الوحيد بينهما فرقاً لغويّاً، في حين أنّ النتائج التي حصلنا عليها في هذا البحث لا تتطابق مع ما يقوله أبو حنيفة، علماً بأنّ هذا ليس له أي علاقة بالمطلب الذي نقلناه عن ماتُريدي في بداية هذا الموضوع.

اما أبو اسحق النوبختي يقول: « والفاسق من المؤمن لا يخلد في النار »، وشرح العلامة ذلك بقوله: « ذهب كثير من أصحابنا الإمامية إلى أنّ المؤمن الفاسق لا يخلد في النار قطعاً، ولا يجوز ان لا يدخلها أصلا، وقالت الوعيدية بالخلود »(36).

فيما ان الشيخ المفيد كتب يقول: « اتفقت الإمامية على أنّ الوعيد بالخلود في النار متوجّه إلى الكفّار خاصّة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة باللهوالإقرار بفرائضهِ من أهل الصلاة، ووافقهم على هذا القول كافّة المرجئة سوى محمّد بن شبيب، وأصحاب الحديث قاطبة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك وزعموا أنّ الوعيد بالخلود في النار عامٌّ في الكفار وجميع فسّاق أهل الصلاة »(37). وفي أثناء حديثه كان يؤكّد على العذاب المؤقّت لفسّاق المؤمنين.

رأي السيّد المرتضى:بناءً على ما جاء به السيّد المرتضى في الذخيرة، يمكن القول: بأنّه قد سلك نفس المسلك الذي سلكه أبو اسحق النوبختي في الفصل بين الإيمان والعمل ; حيث كتب في باب

تعريف الإيمان قائلاً: « إعلم أنّ الإيمان هو التصديق بالقلب، ولا اعتبار بما يجري على اللسان ممّن كان عارفاً بالله وبكلّ ما أوجب معرفته مُقرّاً بذلك مصدّقاً فهو مؤمن.

والكفر نقيض ذلك وهو الجحود في القلب دون اللسان لما أوجب الله تعالى المعرفة به..

وإلى هذا ذهبت المرجئة وإن كان فيهم من ذهب إلى أنّ الإيمان هو: التصديق باللسان خاصّة وكذلك الكفر والجحود باللسان...

ومنهم من ذهب إلى أنّ الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معاً وقال في الكفر: إنّه الجحود بهما »(38).

وبعد بضع صفحات من البحث في هذا المجال ذكر الاستدلالات التي يستدلّ بها المرجئة على صحّة القول بالفصل فيما بين الإيمان والعمل، وأحد هذه الاستدلالات يقول فيه ما مفاده: لو سلّمنا أنّ كلّ طاعة يقوم بها الإنسان عبارة عن الإيمان أو بعض الإيمان. كما يقول المعتزلة. فيجب أن نسلّم أن كل معصية هي عبارة عن الكفر أو بعض الكفر... وهذا ممّا لا يمكن القبول به مطلقاً.

والاستدلال الآخر: لو قلنا أنّ الإيمان هو عبارة عن جميع الطاعات مع بعضها البعض فهذا يعني أن وجود الإنسان المتكامل الإيمان فرضٌ محال...

كذلك أنّ المرجئة حاولوا الاستناد إلى بعض الآيات في أقوالهم ومنها:

(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْم)(39) وآيات أخر نظير:

(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا على الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي)(40).

السيّد المرتضى بعد أنْ نقلَ هذه الاستدلالات، أظهر قبوله لها ومن ثمّ ذكر أدلّة المعتزلة وأخذ بالردّ عليها(41).

وممّا لا يخفى أنّ مرتكب الكبيرة المستحلّ لها كافر في نظر السيد(42). هذا وأنّه لا يقبل بقول المعتزلة فيما يتعلق بخلود الفاسق في النار(43).

ومن حيث المجموع يمكن القول إنّ آراء الشيخ المفيد في المقام أكثر إنسجاماً مع ما جاءت به الروايات، وأمّا ما جاء في كتابات السيّد المرتضى في خصوص مسألة الفصل بين الإيمان والعمل، وعدم توضيحه للمسألة كان بحدّ ذاته قد خلق العديد من المشكلات، ومن أجل رفع هذه المشكلات يجب أن نفرّق بين المستوى العقائدي بين المتديّنين من جهة، وأنْ نؤكّد على قيمة العمل في تصديقه وإثباته للإيمان من جهة أخرى.

الخواجة نصير الدين كان يعتبر الإيمان عبارة عن التصديق القلبي والإقرار اللساني، وكان يقول بالملازمة بينهما فلا ينفع احدهما دون الآخر، وكان يعتقد أنّ خير مثال على التصديق اللساني الفاقد للإيمان هو كلام أهل البادية الذي أشارت إليه الآية الشريفة: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا)(44)، وشرح العلاّمة كلام الخواجة هذا من دون أن يُبدي أي اعتراض عليه.

الخواجة كان يعتقد أنّ الكفر هو عبارة عن عدم الإيمان، وأمّا الفسق فهو الخروج من طاعة الله عزّ وجلّ لا الخروج من الإيمان . حيث كتب يقول: « والفاسق مؤمن لوجود حدّه فيه » أي لانطباق تعريف الإيمان عليه، العلامة في شرحه بهذه العبارة كتب يقول: « والحق ما ذهب إليه المصنّف وهو مذهب الإمامية والمرجئة وأصحاب الحديث وجماعة الاشعرية والدليل عليه أنّ حدّ المؤمن وهو المصدّق بقلبه ولسانه في جميع ما جاء به النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم) موجود فيه فيكون مؤمناً »(45).

ويجب ان يكون معلوماً لدينا أنّ أصحاب الحديث أو بتعبير آخر (السلف) يعتقدون بأنّ العمل جزء من الإيمان ولا يفصلون بينهما، فإذا كان مقصود العلامة من أصحاب الحديث هم خصوص هؤلاء فما كان يجب ان يجعلهم في رديف واحد مع الإمامية والمرجئة والأشاعرة(46)

رأي الشهيد الثاني: البحث في مفهوم الإيمان بقي من أهم البحوث التي احتفظت بأهمّيتها في البحوث الكلامية. وهذه المسألة يمكن لمسها بوضوح في المقدّمة التي كتبها الشهيد الثاني على رسالة حقائق الإيمان، هذا بالإضافة إلى الرسائل الأخرى التي تناولت مسألة الإيمان في الحقبة التي حكمت فيها الدولة الصفوية ومن جملتها رسالة الشيخ يوسف البحراني تحت عنوان رسالة في تحقيق معنى الإسلام والإيمان وأنّ الإيمان عبارة عن الإقرار باللسان والاعتقاد بالجِنان والعمل بالأركان(47).

هذا ويجب ملاحظة نكتة مهمّة في البين وهي أنّ البحث في الإيمان والإسلام كان من المسائل البالغة الحسّاسية في تلك الحقبة وذلك لاختلاف وجهة نظر كلّ من الشيعة والسنّة في إطلاق اصطلاح المؤمن والمسلم(48).

ولا بأس هنا من إلقاء نظرة سريعة على ما جاء في رسالة الشهيد الثاني، والتي تعتبر بحق من أفضل ما كتب في الإيمان من حيث استقصائها للآراء وتفصيلها.

في بداية رسالتهِ ابتدأ بالمعنى اللغوي للإيمان حيث قال: هو مطلق التصديق وإن كان لساناً، وأمّا معناه الشرعي فيقول بوجود العديد من الآراء المختلفة في المقام، حيث أنّ البعض يعتقد أنّ الإيمان هو

عبارة عن التصديق القلبي، والبعض الآخر اعتبره هو الفعل بالجوارح، وآخرون قالوا بأنّه أعمّ من التصديق القلبي والفعل بالجوارح.

فالقول الأوّل تقول به الأشاعرة وجماعة من متقدّمي الإمامية ومتأخريهم ومن جملتهم الخواجة الطوسي، لكنّ الاختلاف وقع بينهما في أن الإيمان هل هو التصديق العلمي . اليقين الجازم . أم التصديق النفساني(49)، فذهب أصحابنا من الإمامية إلى القول الأول. والقول الآخر الذي يعتبر الإيمان عبارة عن الفعل بالجوارح كان على قسمين: حيث قالت الكرّامية هو صرف التلفظ بالشهادتين. وادعت المعتزلة بأنّه التلّفظ بالشهادتين وأداء بقية الأعمال والطاعات. وأمّا القول الثالث الذي يعتبر الإيمان عبارة عن التصديق القلبي والفعل بالجوارح فقد قال به أهل السلف، حيث كانوا يعتبرون الإيمان هو: « التصديق بالجنان، والإقرار باللسان والعمل بالأركان ».

ثمّ ذكر في هذا البحث: أنّ الإيمان من الأمور التي لا يجوز التقليد فيها، وأكّدَ على أنّ معرفة الله عزّ وجلّ من الأمور التي يدركها العقل من وجهة نظر الشيعة. ثمّ عرّجَ على القسم الثاني في كون العمل ليس جزءاً من الإيمان، وقد قبل الشهيد بهذا المعنى وصرّح به، فأتى بالأدلّة المثبتة له، وقد كان أكثرها قد استدلّ به المرجئة وقال به السيّد المرتضى كذلك في الذخيرة.فكانت الآية الشريفة: (اِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ)(50) على رأس تلك الأدلة، وكذلك الآية الشريفة (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)(51) فهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلُّ على أنّ الإيمان هو عبارة عن حالة من الحالات والعمل دخيل عليها، وهذا خير دليل على وجود المغايرة فيما بين الإيمان والعمل.وقد تناول الشهيد في بحثه جميع الإشكالات التي يمكن أن ترد على استدلاله هذا واستطاع أن يجيب عليها.الآية الأخرى التي استدل بها هي: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)(52) والتي تدلّ على أنّ المؤمن في حالة ارتكابه للمعاصي يبقى مؤمناً بدليل إطلاق لفظ المؤمن عليه في الآية الشريفة، وهذا خير دليل على الفصل ما بين العمل والإيمان، وكذلك الآية الشريفة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)(53).وهناك العديد من الآيات التي تشابه الآية الشريفة: (أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمان)(54)، حيث حدّدت بوضوح وعاء الإيمان وصرّحت بكونه خصوص القلب لا الجوارح، وكذلك الآية الشريفة: (وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ)(55).هذا بالإضافة إلى أنّ نفس الخواجة في فصول العقائد عرّف الإيمان على انه: « صرف التصديق القلبي »(57) فاحتمل الشهيد أنّ الخواجة قد صرف النظر عن رأيه السابق الذي جاء به في كتابه تجريد الاعتقاد.

3 .الفصل الثالث: الكفر

العدد التاسع – حزيران – June / 2024

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

3.1. المطلب الأول: الكفر لغة

الكفر لغة: تغطية الشيء وستره ومنه قول الشاعر في ليلة كفر النجوم غمامها أي سترها، ومنه سمي الليل كافرا لأنه يغطي كل شيء بسواده، فكل من ستر شيئا فقد كفره، والكافر لغة: الزارع لأنه يستر البذر بالتراب والجمع كفار، ومنه قوله تعالى كمثل غيث أعجب الكفار نباته) (58) يعني الزراع لأنهم يغطون الحب بالتراب، والكافر من الأرض ما بعد عن الناس لا يكاد ينزله ولا يمر به أحد، ومن حل بتلك المواضع فهم أهل الكفور، وكفر بها جحدها وسترها، وكافره حقه جحده ورجل مكفر مجحود النعمة.

3.2. المطلب الثاني: الكفر اصطلاحا

والكفر شرعاً: نقيض الإيمان، قال الليث: إنما سمي الكافر كافرا لأن الكفر غطى قلبه كله، وهو أنواع: الأول: كفر إنكار، وهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد وهذا المعنى مروي عن بعض المفسرين في قوله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) (59).

ويمكن تصوير الإيمان والكفر – بميزان ذي كفتين كفة بيضاء نقية تشتمل على حب أهل البيت (عليهم السلام)، وهي كفة الإيمان الصادق وأخرى سوداء مظلمة من بغضهم (عليهم السلام)، وهي ليس إلا الكفر والنفاق والمروق من الدين.

حدد الإمام الصادق (عليه السلام معنى الكفر أفضل تحديد، بقوله: (كل معصية عصي الله بها بجهة الجحد والإنكار والاستخفاف والتهاون في كل ما دق وجل وفاعله كافر ومعناه معنى كفر من أي ملة كان ومن أي فرقة كان بعد أن تكون منه معصية بهذه الصفات فهو كافر...) (60).

ويرسم لنا الإمام الباقر (عليه السلام) قاعدة عامة في مسألة الإيمان والكفر هي: كل شئ يجره الإقرار والتسليم فهو الإيمان، وكل شئ يجره الإنكار والجحود فهو الكفر) (61).

ومما وصل إلينا بطريق التواتر، أو التفريق بينهم، أو الإيمان ببعض الأنبياء والكفر ببعض، قال تعالى: " إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض.. أولئك هم الكافرون حقا)

من جانب آخر نجد نمطا من الناس قد أسروا الكفر ولكن أظهروا الإيمان نفاقا، فهم كالحرباء التي تتأقلم مع الظروف وتتمحور حول المصالح الذاتية، وكنموذج من أولئك المنافقين في تاريخنا الإسلامي ممن انطلى نفاقهم وكفرهم على شريحة واسعة من المسلمين لتسترهم بظاهر الإسلام: معاوية بن أبي

سفيان وحزبه. ولا نقول ذلك اجتهادا منا بل لتواتر التصريح به، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد حلف بأغلظ الأيمان لأصحابه الذين صفهم في صفين على نفاق وزيف إيمان أعدائهم بل وكفرهم، قائلا:... فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر، فلما وجدوا أعوانا عليه أظهروه) (62). فهذا نموذج من الناس يعيش حالة الفصام بين الظاهر والباطن، فيظهر الإيمان ويبطن الكفر وهو – بلا شك ولا شبهة – من أخطر حالات الكفر ضررا على الإسلام. إن الإسلام ركز على التلازم بين الظاهر والباطن، ومثل هذه الرؤية تتوضح خطوطها فيما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن الهيثم التميمي قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا هيثم التميمي إن قوما آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شئ وجاء قوم من بعدهم آمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئا، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن.

المصادر

القرآن الكريم

[1] الحربي، محمد. (1407 هـ). ابن تيمية وموقفه من أهل الفرق والديانات في عصره. بيروت: عالم الكتب.

[2] المفيد، الشيخ. الأمالي.

[3] المفيد، الشيخ. (بدون تاريخ). أوائل المقالات في المذاهب والمختارات (تحقيق: شيخ الإسلام الزنجاني). قم: داوري.

[4] المجلسي، محمد باقر. (بدون تاريخ). بحار الأنوار (ج. 23، 27، 46، 51). بيروت: مؤسسة الوفاء.

[5] المفيد، الشيخ. الجمل. قم: من منشورات النوري.

[6] المرتضى، الشريف. الذخيرة (تحقيق: السيد أحمد الحسيني). قم: دار التبليغ الإسلامي.

[7] المرتضى، الشريف. رسائل المرتضى (تحقيق: السيد أحمد الحسيني). قم: دار القرآن.

[8] العاملي، زين الدين علي بن أحمد. (1409 هـ). رسالة حقائق الإيمان (تحقيق: مهدي رجائي). قم: مكتبة السيد المرعشي.

[9] الطوسي، نصير الدين. فصول العقائد.

[10] الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحق. (بدون تاريخ). الكافي. طهران: دار الكتب الإسلامية.

العدد التاسع – حزيران – June / 2024

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

[11] الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف. (1399 هـ). كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (تحقيق: الزنجاني). بيروت: مؤسسة الأعلمي.

[12] القمي، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه. (بدون تاريخ). معاني الأخبار (تصحيح: علي أكبر الغفاري). قم: منشورات دار التبليغ الإسلامي.

[13] الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل. (1369 هـ). مقالات الإسلاميّين (تحقيق: محي الدين عبد الحميد). مصر: مكتبة النهضة المصرية.

[14] آل عصفور، الميرزا محسن. (1409 هـ). المقدمة الفاخرة لكتاب الحدائق الناظرة. قم: مكتبة العزيزي.

[15] الحر العاملي. (1403 هـ). وسائل الشيعة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

[16] الخوارزمي. المناقب. طهران: مكتبة نينوى الحديثة.

[17] الأمين، السيد محسن. الشيعة بين الحقائق والأوهام. بيروت: مؤسسة الأعلمي.

[18] جاد المولى، محمد أحمد. (1406 هـ). قصص القرآن. بيروت: دار الرائد العربي.

[19] الطريحي، الشيخ. مجمع البحرين. طهران: المكتبة المرتضوية.

[20] الشريف، محمود بن الشريف. الأمثال في القرآن. بيروت: دار مكتبة الهلال.

[21] الصدوق. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال. بيروت: مؤسسة الأعلمي.

[22] ابن هشام. السيرة النبوية. القاهرة: دار الفكر.

[23] مغنية، الشيخ. التفسير الكاشف. بيروت: دار العلم للملايين.

[24] الصدوق. (1981). من لا يحضره الفقيه. بيروت: دار صعب.

[25] راجح، أحمد عزت. (1970). أصول علم النفس. الإسكندرية: المكتب المصري الحديث.

[26] طبارة، عفيف عبد الفتاح. الخطايا في الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين.

[27] أبي داود. سنن أبي داود. بيروت: دار الفكر.

[28] مسلم. صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

[29] مؤسسة الإمام المهدي. (1411 هـ). الصحيفة السجادية الجامعة. قم: مؤسسة الإمام المهدي.

العدد التاسع – حزيران – 2024 / June